مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies)
جامعة وهران02/ المجلد 11 ع 03، 16/ 06/ 2022
ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

خطاب العلم والإتيقا في فلسفة كارل أوتو آبل

Discourse of Science and Ethics in the Philosophy of karl Otto Apel

بورزاق يمينةBourezak Yamina * yamina.bourezak@univ-mosta.dz	فلسفة	كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة مستغانم/ الجزائر
أد. بن دنيا سعدية Saadia Bendenia bendeniasaadia@yahoo.fr	فلسفة	كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة مستغانم/ الجزائر

DOI : 10.46315/1714-011-003-019.

الإرسال: 2021/02/15 **القبول**: 2021/04/10 **النشر**: 2022/06/16

ملخص:

سنتناول في هذا البحث موضوع راهني هو الإتيقا في عصر العلم، أو الخطاب مابعد الأخلاقي في فلسفة الألماني المعاصر الفيلسوف كارل أوتو آبل الذي تجاوز في مشروعه التحويلي-الإتيقي الأخلاق التقليدية مقدما نموذج كوني للإتيقا كأساس لمجتمع التواصل ومجتمع العلم على حد سواء، بعد موقفه النقدي للمشروع الحداثوي والتجاوزات التي أفرزتها التقنية، فالإتيقا التي يسعى إليها آبل اليوم تشكل حلا مهّما للتخفيف من الآثار السلبية للعلم من جهة، وسبيلا للحفاظ على الذات والوجود من جانب آخر.

كلمات مفتاحية: كارل أوتو آبل، خطاب العلم، المشروع التحويلي، الإتيقا، مجتمع العلم.

Abstract:

In this research we will deal with a current topic which is etiquette in the age of science, or the post-ethical discourse in the philosophy of the contemporary German philosopher Karl Otto Apel, who in his transformational-ethical project surpassed traditional ethics by presenting a cosmic model of etiquette as the basis for the communication society and the science community alike, after his critical stance of the project. Modernism and the excesses produced by technology, the attentiveness that Aple seeks today is an important solution to mitigate the negative effects of science on the one hand, and a way to preserve self and existence on the other hand.

Keywords : karl Otto Apel, The Discourse of Science, The Transformational Project, Ethics, Science Society.

1- مقدمة :

لا يختلف اثنان عن الآثار التي خلفها المشروع الحداثوي والتي أثّر بشتى مناحي الحياة بما فيها الأخلاق، الأمر الذي دفع بالدارسين والباحثين إلى إعادة فتح السجلات الأخلاقية في مجال العلم أو ما يعرف اليوم "الاتيقا"، حيث يعتبر الفيلسوف الألماني كارل أوتو آبل من المهتمين

* - الباحث المُرسل: yamina.bourezak@univ-mosta.dz

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

بإشكالية الإتيقا في الفلسفة المعاصرة، إذ تعتبر الأساس في طرحه الفلسفي إلى جانب اللغة، الحوار، المناقشة، الحجاج والمسؤولية المشتركة، ونظرا لحاجة المجتمعات إليها اليوم عكف على تقديم جملة من الأطروحات والآراء الفلسفية حولها عقب عمله الشهير تحويلية الفلسفة la transformation de la philosophie، والذي يعد تحولا من براديغم الوعي إلى براديغم اللغة، بعد أن تبيّن أن جل ماسعى إليه الإنسان الحديث من إنجازات أهمها السعي نحو السيادة على الطبيعة وتحقيق الفردوس الأرضي أصبح اليوم هاجسا يهدد وجوده، وجعله في صراع من أجل البقاء في ظل تنامي الآثار الجانبية للتقدم العلمي، وعليه نطرح ضمن هذه الورقة الإشكالية التالية: هل يمكن التوصل إلى أخلقة خطاب العلم في ظل تنامي التطور العلمي؟ وماهي الأسس والمنطلقات التي بنى عليها كارل أوتو آبل موقفه الفلسفي حول الإتيقا في عصر العلم؟، ولمعالجة موقف الفيلسوف أنموذج البحث ارتأينا أن نبني هذه الورقة البحثية على ثلاث لحظات أساسية في طرحه وهي كالتالي، الخطاب الإتيقي بعد كانط، الإتيقا: مخلفات أزمة التقنية ومساعي المسؤولية المشتركة، وصولا إلى تأسيسوية المسؤولية المشتركة الكبرى والكونية، أين يتبيّن لنا أن آبل قد بدأ مشروعه من تشخيص الأزمة وتحديد بؤرتها بالعودة إلى لحظة تحرر العقل؛ ثم باشر بتقديم حلول ومقترحات حول الأزمة التي رأى فيها تهديدا واسع المجال، خاصة بعد تصاعد السباق نحو التسلح اليوم أو ما يعرف بامتلاك الأسلحة النووية الفتاكة من خلال دعوته إلى أخلقة الخطاب العلمي أيضا وربطه بالمسؤولية ربطا مباشرا، بالاعتماد على المنهج التحليلي الذي يسلهم في تحليل الأفكار الفلسفية تلك التي تصب في موضوع البحث ومجموعة من المراجع.

2- الخطاب الإتيقي بعد كانط: من الأخلاق الكلاسيكية إلى المعاصرة:

كانت صياغة ليبنتز إلى المبدأ القائل أن " لكل شيء سبب معقول" (الشيخ، م .الطائري، ي. 1996: 13) سعي مباشر في البحث عن مجموع العلل والأسباب التي تحيط وتُفعل ظواهر هذا الوجود ما أحدث خلخلة بين الذات le soi والموضوع le sujet، أو الإنسان l'être والمادة le matière، الأمر الذي أفقد هاته الذات جوهرها الأساس، وجعل منها مجرد وسيلة لتحقيق أو الوصول إلى كل ما سطره العقل الإنساني في خططه التقدمية التي رافقت مشروعه الحداثوي، وقد بين آبل أن"هذه هي السمة الأساسية التي يبدو أن الوضع المعاصر للإنسانية وقف عليها في تحد منه لإيجاد إتيقا نظرا لتوصله إلى نتيجة وضّحت فائض المطالب في المؤسسات التقليدية للحياة الأخلاقية "(Apel,k. 1994 : 13)، والتي باتت مهددة في مقابل دعوة كثير من الفلاسفة على رأسهم كانط إلى ضرورة التحلي بالأخلاقيات، حيث "يعود له الفضل الكبير في مسائل الإتيقا"

(arthur,sh. 2009 : 214)وعلى الرغم من الحضور الكانطي الدائم في الفلسفة المعاصرة إلا أن فلاسفة أمثال رورتي وهابرماس وراولز وكارل أوتو آبل سعوا "إلى التخلص من التمثل الكانطي للعقل. فلم يعد العقل يحيل على بنية ثابتة من القدرات والوظائف المتعالية، وأصبح دالا على فاعلية، أو بالأصح فاعليات تتنوع بتنوع مجالات(...) وبتعبير آخر لم يعد العقل دالا على نموذج واحد مطلق للمعقولية" (منصف، ع.2010: 08)، بل يحيل إلى مجموعة من العقول في صيغة تذاوتية، ورغم تأثر آبل بعقلانية كانط إلا أن هدفه لم يكن المحافظة على الأنا وحدية.

وبعد تأثّره الشديد بعقلانية كانط طرح آبل إشكالية عكست هاته العقلانية وقد تمثلت في سؤال لماذا نكون عقلانيين؟ وبيّن صعوبة التوصل إلى إجابة كافية عن هذا التساؤل، وما يمكن الإشارة إليه هنا حسب آبل "أن الوضع الراهن للإنسانية يمثل مشكلة أخلاقية للإنسان في ذاته (...) حالة الإنسانية اليوم ولا سيما التحدي الذي يشكله لأسباب إتيقيةخطر الحرب الإبادة النووية، أو ربما أكبر من تدمير المحيط الحيوي والمحيط البيولوجي البشري" (Apel, k.1996:15.)، وهذا ما أطلق عليه وضعية الإنسان الراهنة la situation contemporaine de l'homme، أين اعتبر هذا الوضع هو كل مايهمه ويشغل طرحه الفلسفي هذا حيث "سعى إلى ترجمة المشاكل التي تعرفها الإنسانية اليوم، في ضوء الوضع الإتيقي أو الأخلاقي بشكل عام، وما أسماه الوضعية الأزمة la crise situation. أما بالنسبة لتخطيط التطور الذي عرفه الإنسان في علاقته المتجانسة بالبيئة، وعلاقته بالأزمة النووية الإستراتيجية، والأزمة الإيكولوجية، فيجب أن يصلح إلى حد ما الإطار الذي يمكن من خلاله إدراج أي تفسيرات نظرية" (Apel, k.1996:17)، لما أقدم عليه الإنسان الحديث المنساق وراء الأداتية المفرطة.

وفي تحليله المسهب لعلاقة العلم بالإتيقا أو الأخلاق النظرية رأى آبل أن "أي شخص يفكر في علاقة العلم والأخلاق في المجتمع الصناعي الحديث وفي زمن العولمة يواجه ضغطا متناقضا، من جهة لم تكن الحاجة إلى إشراك المجتمع البشري ككل، أكثر إلحاحا مما هي عليه اليوم فهي ضرورية من خلال التداعيات التكنولوجية للعلم، ودعوتها إلى إنشاء مجتمع إنساني واحد، ولكن من ناحية أخرى، فإن المهمة الفلسفية المتمثلة في تأسيس إتيقا كونية وعقلية صعبة ومستحيلة في العصر العلمي هذا، والسبب في ذلك هو حقيقة أن فكرة الصلاحة التذاوتية la validité intersubjectivitéمشروطة بالعلم وبصورة أخص بالتصور العلموي للموضوعية التي تستبعد كل معيار وكل قيمة" (Apel, k.1996 :01)، وتعود الاستحالة التي صرّح آبل عنها "الموقف العلمي الذي يظهر في موقفين أساسيين، الأول هو الماركسية التي تدعي القدرة على التنبؤ بالمستقبل وتختزل

الإتيقا في التحقيق العملي للضرورة التاريخية بعد أن يتحقق بها الوعي على الوجه الأكمل، والثاني هو العلم الذي يحشر كل ما يتعلق بالإتيقا في مجال اللامعقول والاختيارات الفردية الاعتباطية، ونتيجة لذلك يفتقد كل مقياس موضوعي يسمح بتحديد الغايات المنشودة للنشاط الإنساني" (بن مصطفى حشانة، م.2009: 86)، واستنادا إلى ما سبق حاول آبل التوصل إلى إجابة عن إشكال إمكانية حيادية العلم من الناحية القيمية؟ معتمدا على رأيين اثنين:

1- على عكس المنطق العلمي السائد والمهيمن، أنا أرى أن كل نظرية فلسفية في العلم يجب أن تجيب عن السؤال الذي وضعه كانط حول الشروط الترنسندنتالية لإمكانية وصلاحية العلوم.

2-وعلى الضد من المدافعين على الأرتوذكسية الكانطية، أنا لا أرى أن الجواب على السؤال الكانطي يستلزم العودة إلى الفلسفة الكانطية القائمة على الشعور الرنسندنتالي للعلم يجب أن يجب يكون انطلاقا من المعطيات المعرفية لفلسفة القرن العشرين التي تبرز للعيان أن اللغة والمجموعة اللغوية هي قيمة متعالية أو ترنسندنتالية" (Apel,k. 2010:377)، كان موقفه هذا استنادا إلى ما أسماه كانط بالثورة الكوبرنيكية.

تلك الثورة التي "تتمثل في استبدال فكرة انسجام بين الذات والموضوع بمبدأ خضوع ضروري كموضوع للذات (...)، إن الكائن يكشف أن لديه قوى جديدة، أن الشيء الأول الذي تعلمناه إبان الثورة الكوبرنيكية هو أننا نحن الذين نأمر ونقود" (جيل، د. 1997: 25)، ومعناه هذا حسب كانط أننا "نحن مشرعي الطبيعة" (جيل، د.1997: 25)، في محاولة للإنسان الحديث فرض سيادته عليها متتبعا المسار العلموي.

وفي "أي حال، قبل أي تحليل أو تبرير فلسفي للمفاهيم مثل مفاهيم الإتيقا والمسؤولية يمكن للمرء أن يصف الجدة المتأصلة في الوضع المعاصر أو الراهن للبشرية بحجة أن المشكلة الجديدة سوف تكمن بالتالي في تأسيس إتيقا كبرى أو ماكروإتيقا" (Apel,k.1996:15)، مشيرا أن الحديث عن هاته الإتيقا كان نتيجة "ظاهرة اللاتزامن في المجلات المختلفة بالنسبة للتطور السوسيو/الثقافي بصفة أكثر مما هو عليه في مجال الأخلاق التقليدية، خاصة إذا قارناها بالمتطلبات الفعلية المتعلقة بالمسؤولية العامة والمشتركة إزاء العواقب الكونية الناجمة عن الأفعال الإنسانية أو وجهناها بها" (كارل أوتو، آ 2009: 05)، وفي طرحه حول الأخلاق مابعد الكانطية انتقل من مصطلح الأخلاق التي رأى أنها عملية لا تزال تنحصر في العلاقات الإنسانية الضيقة، إلى مصطلح الإتيقا لاحتوائه على طابع كوني، شمولي، وأيضا نظري، انطلق فيه "من الوضع الإتيقي الراهن، مؤكدا على النتائج السلبية للعلم والتقنية، فالوضع الإنساني الراهن بكل

مايحمله من أخطار هو التحدي الإتيقي الأساسي أمام الفكر الفلسفي ذلك أن المعايير والقيم والمؤسسات التقليدية لم تعد قادرة على تحمل هذه المسؤولية الجديدة والتي لايمكن التأسيس لها إلا "بتجاوز تلك الفجوة بين الاخلاق في شكلها التقليدي والإتيقا المؤسسة على مبدأ البرهان، وذلك التباعد بين العالم النسقي الجامد للاقتصاد والعالم الحيوي المعيش وبين علوم الطبيعة وما تحمله من حياد أكسيولوجي، والمسؤولية الاجتماعية والإنسانية الناشئة عن مختلف تطبيقاتها " (بن مصطفى حشانة، م.2009: 86)، وهذا ما أغفلته الذات الحداثوية التي جعلت العلموية شعارا لها محدثة تجاوزات على النوع البشري من جهة، والوجود الحيوي من جهة أخرى.

3- الإتيقا: مخلفات أزمة التقنية ومساعي المسؤولية المشتركة:

لا يختلف اثنان عن تاريخية أزمة التقنية التي بدأت معالمها مع بدايات الفكر الحديث، أين اندلعت الثورة الفكرية التي قادها رواد الفكر الحديث باختلاف توجهاتهم العقلية، التجريبية...الخ، حيث تحول العلم إلى تقنية ساعدت على تأكيد حرية الذات الإنسانية وجعلها المشرّع الأساسي لكل معرفة، غير أنه وفي "اللحظة نفسها التي تمكن فيها الإنسان من تحرير نفسه من وهم مركزية الأرض، ذلك الوهم الشاغل لجل أجيال البشرية السابقة، أنشأ لنفسه أيضا انزياحا كونيا غير مسبوق في أساسيته وعمقه، وكل خطوة آتية على طريق الثورة العلمية مع عاقبتها أضافت أبعادا جديدة للإنجاز الكوبرنيكي موفرة مزيدا من الزخم وقوة الدفع لذلك التحرر مع العمل في الوقت نفسه مع مضاعفة كثافة ذلك الإنزياح والضياع" (تارناس، ر 2010: 387)، رغم اتساع آفاق تحرر العلم وشمولية ميادينه البحثية، فعالم "ماقبل الحداثة كان زاخرا بفيض من المقولات الروحية الأسطورية، الإيمانية، وغيرها من المواصفات المنطوية على معنى إنسانيا، إلا أن الوعي الحديث بات يرى جميع هذه الأمور إسقاطات إنسانية مجردة (...) وهكذا فإن التحرر العلمي من العقيدة اللاهوتية والخرافة الأرواحية جاء مصحوبا بإحساس جديد بغربة الإنسان من عالم لم يعد يتجاوب مع القيم الإنسانية" (تارناس، ر. 2010: 388)، الأمر الذي أسماه كارل ماكس بالاغتراب لغياب مرجعية يستند عليها الإنسان الحديث، مرجعية تمنحه الاطمئنان والسكينة.

فعقب ما أفرزه العلم من آثار جانبية والتي على الرغم من أنها وصفت على أنها ثمن معقول للتقدم إلا أنها أخلّت بحالة البشرية اليوم حيث وضعت "الحضارة العلمية والتكنولوجية جميع الشعوب والأعراق والثقافات أمام مشكلة أخلاقية مشتركة، بغض النظر عن تقاليدهم الأخلاقية المحددة والمتعلقة بهوية مجموعتهم الثقافية" (Apel,k. 1987: 44) في بحثه عن المسؤولية في عصر العلم كان آبل قد من إشكالية أساسية هي كالتالي: "المسؤولية اليوم: هل هو فقط مبدأ لحفظ

وتقييد الذات أم أنه لايزال مبدأ لتحرير الإنسانية وتحقيقها؟ و"هل يمكن للمجتمعات الصناعية اليوم أن تعيش دون إتيقا يملها العقل " (Apel,k., 1998:09)ذلك أن "المسؤولية هي إحدى القيم الأساسية للمجتمعات الديمقراطية(...) لتكون مركزا أساسيا في تنظيم المجتمعات الحديثة" (Slama, A. 2011:05)، التي لم تستطع الحفاظ على مجموع مبادئها الأساسية بسبب تصاعد أداتية الإنسان الصانع، ونظرا للتسارع التقني وعلمي الذي يعرفه العالم وما أفرزه العلم من نتائج أثرت على الطبيعة عموما والذات الإنسانية خصوصا، وبالنسبة لآبل فإنه من المهم جدا إرساء مسؤولية كونية تضبط الفعل الإنساني في عالم الفعل، ونجده قد ركز في طرحه هذا على "الطابع التاريخي لمبدأ المسؤولية المشتركة la co-responsabilité وهو الذي ينطلق من قراءة نقدية للوضع العالمي الراهن، على غرار نظيره هانزجوناسH-Jonas في كتابه مبدأ المسؤولية" (بن مصطفى حشانة، م. 2009: 85)، وعليه فإن الإشكال المطروح اليوم مامعنى أن يكون الإنسان مسؤولا؟ ومانوع المسؤولية التي يبحث عنها فلاسفة اليوم، طالما أن "العلم والتكنولوجيا الحديثة قد أثارا قطيعة في العلاقة بين الإنسان والطبيعة"؟ (دروتي، ج. 2009: 450).

وعليه فالمسؤولية المشتركة la co-responsabilité أو المسؤولية الكونية la responsabilité universelle التي أرادها آبل ذات طابع أخلاقي/إتيقي مصطلح مسؤولية أخلاقية responsabilité morale، حيث عبّر عن هذا قائلا: أن "بداية العصر النووي كانت بمثابة الإعلان عن تحدي خارجي للمسؤولية الكونية، خاصة إذا تم النظر إلى الآثار الجانبية التي أفرزها الإنسان الصانع من خلال أعماله، وأعتقد أنها أكثر خطورة لأنها سبب مباشر في الأزمة البيئية" (Apel,k. 2001: 28)خاصة بعد أن أصبحت الإنسانية "قادرة من الآن فصاعدا على التعديل الجذري أو حتى على تحطيم محيطها الطبيعي، ينتج عن هذه القدرة(...) واجب جديد يتمثل في العناية بالطبيعة" (دروتي، ج.2009: 450) وهذا بتفادي جملة الآثار الجانبية خاصة غير المتوقعة، أو تحمل الإنسان مسؤولية أفعاله "فالمسؤولية الأخلاقية la responsabilité morale هي المسؤولية الناشئة عن إلزامية القانون الأخلاقي وعن كون الفاعل ذا إرادة حرة، ومعنى ذلك أن الفاعل الذي تكون أفعاله ضرورية، أي ناشئة عن أسباب طبيعية، أو مسيرة بإرادة غيره، لا يعد مسؤولا من الناحية الأخلاقية" (صليبا، ج. 1982: 370)، وبالنظر إلى المسؤولية من الجانب التطبيقي للعلم فإن "نتائج العلم التقني ذاتها في عالمنا الحاضر المعاش هي التي استوجبت تأسيسا عقلانيا لإتيقا المسؤولية المشتركة على الصعيد الكوني" (أوتو، ك. 2009: 12) بعد أن وجد إنسان اليوم نفسه يحاول البحث عن حلول لمشاكل كانت له اليد الفاعلة الأولى فيها "وفي ظل الوضع الحالي للأزمة في

المجتمعات الصناعية، يجب على الإنسان أن يستشعر حزنا على يتوبيا التي التقدم التي ميّزت الحداثة والأزمنة الأوروبية الحديثة" (Apel, la discussion et la responsabilité02, 1998, p. 09) كون أنها منحت للذات فرصا مفتوحة للبحث، والتجريب، والعقلنة منذ بدايات الحداثة.

كثيرة هي مميزات الأخلاق، لكنما يميز الأخلاق في عصر العلم في نظر آبل هو "المفارقة الجلية التي تميز حالة المؤسسة الأخلاقية، والتي انتهت بمجموعة من الحجج التي كانت نتيجة للسيرورة الغربية خلال القرن العشرين(...)"(Apel,k.1998:09) والتي كانت ذات أثر بالغ على الإنسان وفكره فقد "أدى خضوع الطبيعة للإنسان إلى ضخامة نجاحه، حيث امتد هذا الخضوع إلى طبيعة الإنسان نفسه"(Apel,k. 1998:10) ، الأمر الذي يعتبر تحديا جديدا له توجت به حريته الفكرية، ولهذا كان من المهم البحث عن تأسيس لإتيقا للمسؤولية بحكم أن "الإتيقا التقليدية لن تقدم إجابة كافية وتأطيرا كليا لأنها ليست إتيقا للمسؤولية مشارا إليها في المستقبل" (Apel,k. 1998:10)تحفظ وجود الذات والطبيعة معا، "فقد حملت سيرورة العقلنة تحدي جديد نوعيا، هو تحدي إتيقا المسؤولية"(MbunguMutu,J. 2010:360) ، والذي بات ضروريا راهنا، وبهذا المعنى "يصبح مبدأ العقلانية سببا ووسيلة لإدراك الخطر الذي يثقل كاهل البشرية والطبيعة ودافع لإثارة المسؤولية" (العايب، ز. 2009-2010: 84)، كمخرج للأزمة.

وبعد تأثير بهانز جوناس على موقف آبل في تعريفه للمسؤولية والذي اعتمد فيه على الثلاثية التي استنتجها بول ريكور خلال معالجته لإشكالية المسؤولية، والتي تمثلت في "القدرات، والأضرار والمسؤولية: فعندما تسيطر القدرات التقنية في غياب السلطة والقوانين فإن ما ينتج عن ذلك جملة من التصرفات اللامسؤولة التي ينجّر عنها بالضرورة إلحاق الأضرار بالبيئة بأكملها، ويمكن للإنسان تفادي ذلك إذا ما استرشد بمبدأ المسؤولية، أما إذا حاول الاعتماد على مبدأ التقويض متصورا أنه قادر على تحقيق العدل والإنصاف فإن ذلك في نظر جوناس ماهو إلا ضرب من المستحيل(...)" (طه، ع. 2000: 188)، فالمسؤولية بالنسبة إلى جوناس تشير إلى المستقبل الأمر الذي جعل به يصطلح عليها مسؤولية مستقبلية Résponsabilité futur تتباين والمسؤولية الأخلاقية التي ميّزت فلسفة كانط على الرغم من تأسيسها على تصورات ومفاهيم حول الواجب، والإلزام الأخلاقي، ومفاهيم الحرية، والكرامة، إلّا أن مهمتها هي إعادة بناء الأخلاق من خلال ما كان لأجل ما سيكون، فهي مرتبطة بالماضي، أما ما أراده جوناس هو الانطلاق من معطيات الحاضر نحو ضمان مستقبل خال من الأضرار والمخاطر للأجيال القادمة، فبالنسبة إليه: الإحساس بالمسؤولية هو أساس الأخلاق، فالمسؤولية كما وضّح أيضا لفيناس هي "بنية جوهرية وأصلية

وأساسية للذاتية (...)" (آبل، ك. 2009: 45)، طالما أن الأخلاق ذاتها يصفها لفيناس على أنها مسؤولية.

4- تأسيسوية المسؤولية المشتركة الكبرى والكونية:

رأى آبل أنه من الضروري جدا أن يختم محاولته بإشكال أساسي ومهم يعكس صعوبة الوضع وتعقده، بعد أن عمد إلى تحليل الوضع الراهن وتوصله إلى جملة العقبات التي اعترضت مساره البحثي، ارتأيناه أن يكون بداية لهذا الجزء من البحث حيث تمثل في: كيف نصل إلى تنظيم المسؤولية المشتركة والجماعية لكل أعضاء مجموعة التواصل البشرية؟.

ارتبط تأسيس نظرية في المسؤولية المشتركة بنظرية العلم Wissenschaftlehere التي حاول آبل بناء عليها جعل فكرة العلم Wissenchaft أكثر وضوحا وتجليا، حيث "يعد أساس الانتشار المفترض لفكرة العلم مزودا من خلال انتشار الإبستمولوجيا التقليدية في خدمة الإبستمولوجيا الأنتروبولوجية" (آبل، ك. 2009، : 45) مشيرا من خلال هذه الأخيرة إلى ما أقره كانط خلال أبحاثه في المعرفة عن شروط المعرفة الممكنة التي تجعل البحث موضوعيا، والتي رأى آبل أنها لاتكفي لذلك، مضيفا أن "كل الشروط التي تجعل البحث العلمي ممكنا وذا مغزى واحد، توحيد فكرة العالم من أجل الوعي في ذاته" (آبل، ك. 2009: 46)، بناء على مخلفات التدخل التكنولوجي الذي ينعكس من خلاله البحث الإنساني "إلى لغة طبيعية، لغة للحديث، بذلك التدخل كان يستطيع العلماء، كما يقول كانط، في كلماته لتجبر الطبيعة على إجابة هذه التساؤلات .(Apel, k 1994: 28)، التي توصل الإنسان الحديث عن تفسيرات وإجابات بعد الكم الواسع من الأداتية التي سخرها لذلك، ووضّح آبل في سياق حديثه عن المسؤولية المشتركة أننا اليوم "بحاجة إلى إتيقا جديدة للمسؤولية الكونية (...) كما لابد من تنظيم التعايش بين مختلف أشكال الحياة الاجتماعية والثقافية في عالم واحد وعلى أساس الاعتراف بحقوق الإنسان الصالحة للجميع" (Apel,k., 1996:13) بالتساوي دون تمايز وانتهاكات.

إذ جاء الحديث عن إتيقا كونية للمسؤولية "كتعبير عن الأخلاق البيئية، لمواجهة النفعية، والأنانية التي سقطت فيها الحضارة التكنوعلمية، بهدف ضمان مستقبل أفضل" (دروتي، ج. 2009:446) يمكّن الذات الإنسانية من الحياة بشكل سليم بناء على توجيه وتأطير كل ما يسعى الإنسان المفكر البحث عنه أو القيام به دون تبعات تضر به وبالطبيعة، فقد وجهت كثير من الانتقادات للإنسان الحديث الذي ركز أخلاقيا "على الذات égotisme وجعلها مدار الاهتمام كله، فاللامبالاة بالآخرين والعبادة الحادة للذاتية تقودانه إلى ألا يجد أي معنى لواجبات التضامن، هذه

الواجبات التي تقع فيما وراء الحد الأخلاقي الأدنى (...) غير أنها أساسية لحياة إجتماعية" (روس، ج. 2001: 82) وهذا معناه أن الذاتية الحديثة أغفلت بالمقابل قيما اجتماعية هامة وأساسية في حياة الإنسان، وهي مايحاول المشروع الآبلياني إعادة الاعتبار لها.

وعليه لتأسيس مسؤولية كونية في نظر آبل عاد هذا الاخير إلى الصيغ الأربع الذي وضعها هانز جوناس "فعمل على إيجاد بديل للآمر القطعي الذي صاغه كانط ليواكب التطورات التي عرفتها التقانة المعاصرة، حيث يحفظ هذا البديل للإنسانية وجودها" (Apel,k.1998:20)، وتمثلت هاته الصيغ في :

– "إفعل بالطريقة التي تريد بها أن يصبح فعلك قانونا عالميا.

-تصرف بالطريقة التي تكون فيها آثار أفعالك متوافقة مع ديمومة الحياة الإنسانية على الأرض.

-تصرف بطريقة لا يكون فيها آثار أفعالك مدمرة للحياة مستقبلا.

-لاتساوم على الشروط التي يجب على البشرية إتباعها لأجل غير محدد، أو صياغتها مجددا في شكل أكثر إيجابية، بصيغة أخرى: أدرج في اختيارك الحالي السلامة المستقبلية للإنسان بوصفه موضوعا ثانويا لإرادتك" (العايب، ز. 2009-2010: 84)، فمن خلال هاته الصيغ التي تحمل نفس المسعى والمطلب يتوضح أن المسؤولية المشتركة التي يريدها آبل هي أن "نكون مسؤولين عن كل ماهو قابل للتغيير والتحول وكل ماهو مهدد للزوال والتلف" (مفرج، ج. 2014: 40)، ولا يمكن أن يتملص أي طرف من الأطراف من تحمل الآثار الناجمة عن فعل ما مهما كان نوعها لأنها ستأثر بشكل مباشر على حياة الفرد وحياة الجماعة في المدى القريب، ويمكن أن تصل تداعياتها إلى المدى البعيد، فجوناس بيّن ذلك حين صرح في مقولة له:"في وسعي المجازفة بحياتي الفردية الخاصة، بل وتعريضها للخطر، ولكن ليس في وسعي البتة أن أفعل ذلك بالنسبة لحياة الإنسانية القادمة" (مفرج، ج. 2014: 36)، فالمسؤولية المشتركة التي نادى بها آبل تعد أحد الأسس التي تسعى إلى تجسيد وفتح أبواب العيش المشترك وهذا بتحسين المحادثات والحوارات البينذاتية للأفراد مهما اختلفت توجهاتهم وأفكارهم خاصة في ميدان العلم، وإنه من المهم أن نبني حيّزا أخلاقيا يتضمن "لإحساس بالمسؤولية تجاه الآخرين، أو الأقران الذين يحتاجون إلى المساعدة، فهي مسؤولية لا يمكن التملص منها طالما هناك آخر بكل بساطة"، ومن هنا يتبين لنا أن محاولات آبل وغيره من الفلاسفة المهتمين بتأسيس مسؤولية في الوجود أمثال ريكور، وهابرماس، وكذا جوناس عقب ما حدث من تجاوزات كانت ذات آثار وخيمة على النوع البشري من جهة، والفضاء الحيوي من جهة أخرى، وقد ربط آبل مشروعه التأسيسي هذا الذي عنونه بإتيقا كبرى وكونية للمسؤولية المشتركة

بمشروعه الأساسي إتيقا المناقشة، أين عمل على تجسيد الأسس الحوارية المبنية على "الصلاحة الكونية التي تفترض مسبقا أن الذات تخاطب المجتمع المثالي للتواصل من خلال المجتمع الحقيقي، وأنها بذلك قد قبلت بالفعل القواعد الإجرائية المتفق عليها" (Apel,k. 2001: 06)، نظرا للأهمية البالغة التي يمنحها الطابع الحجاجي التواصلي في التوصل إلى الإجماع والتوصل إلى نتائج مرضية دون آثار جانبية وخيمة يمكن أن تقضي على النوع البشري، مما يفعّل دورها في ترسيخ قيم العيش معا والتعايش، ونشر التسامح الكوني، حيث مثّلت نظريته هاته الحل الذي رآه ناجعا للحد من خطورة وتصاعد الخطاب العلمي الذي بات تهديدا مباشر للإنسان والوجود.

5- خاتمة عامة:

وفي نهاية هذه الورقة يجوز القول حسب استنتاجنا لما قدمناه آنفا أن الطرح الإتيقي المعاصر يهدف في عمومه إلى حفظ الوجود البشري من الهلاك خاصة بعد تصاعد الأداتية الحداثوية، وما عايشه الإنسان الحديث من اغتراب وتشيء، وكنتائج بحثية يمكن القول أن:

-المشروع الإتيقي هو أحد الحلول التي اقترحها كارل أوتو آبل للخروج من الأزمة الحداثوية التي أرهقت كاهل الإنسان الحديث بعدما جعلت الذات الإنسانية مرجعا ومشرعا أساسيا.

- المنعرج الإتيقي في الفلسفة المعاصرة هو بداية لطرح إتيقي/ أخلاقي جديد يعمل على الجمع بين ماهو نظري وما هو عملي في إطار تواصلي حواري، وهذا ما حمله مشروع كارل أوتو آبل في المسؤولية المشتركة.

-في مشروعه هذا استند آبل التذاوت بدل الذات الواحدة، حيث خرج من بوتقة الذاتية إلى مشاركة جميع الذوات في العملية التواصلية، والنقاشات بما فيها نظريات العلم، من خلال تكافؤ فرص النقاش والتوصل إلى نتائج عن طريق الإجماع، لذا لم يستهدف مشروعه فئة مجتمعية معينة، بل كان مشروعا كونيا.

ويبقى سؤال الأخلاق في العلم مطروحا في الفلسفة المعاصرة وكارل أوتو آبل ما هو إلى أنموذجا من بين العديد من النماذج، كانت لنا معه هذه الوقف تعرفنا من خلالها على رأيه في الدراسة النقدية للأخلاق التقليدية وطرحه لبراديغم تمثل في الإتيقا لأن تداعيات الراهن وما تعانيه الانسانية من قلق وجودي بسبب سيطرة التقنية.

******

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

6- المصادروالمراجع:

- *تارناس ريتشارد (2010).آلام العقل الغربي :فهم الافكار التي قامت بصياغة نظرتنا إلى العالم*، تر :فاضل جكتر ط1، المملكة العربية السعودية: العبيكان للنشر،، أبوظبي: دار الكلمة.

2- صليبا، جميل. (1982).المعجم الفلسفي ج2، دار الكتاب اللبناني، (د.ط) بيروت: مكتبة المدرسة.

3- دروتي، جان فرانسوا. (2009)، فلسفات عصرنا تياراتها، مذاهبها، أعلامها وقضاياها، تر: إبراهيم صحراوي، ط01، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر: منشورات الإختلاف، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم.

4- دلوز، جيل. (1997). فلسفة كانط النقدية، جيل دلوز، فلسفة كانط النقدية، تر: أسامة الحاج، ط1، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

5- روس، جاكلين. (2001). الفكر الأخلاقي المعاصر، تر: عادل العوا، ط1، بيروت: عويدات للنشر والطباعة.

6- عبد الرحمان، طه. (2000). سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، ط1، المغرب: المركز العربي.

7- منصف، عبد الحق. (2010). الأخلاق والسياسة كانط في مواجهة الحداثة بين الشرعية الأخلاقية والشرعية السياسية، ط1، المغرب: إفريقيا الشرق.

8- الشيخ، محمد، الطائري، ياسر (1996). مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة حوارات منتقات من الفكر الألماني المعاصر، ط1، بيروت: دار الطليعة.

1- Arthur Schopenhauer.(2009). les deux pronlème fondamentaux de l'éthique, la liberté de la volonté, le fondament de la morale, traduit de l'allemand et annoté par Christian Sommer, paris : éditions Gallimard.

2- Karl Otto Apel. (2010). la transformation de la philosophie 02, traduits sous la direction de Pol Vandevelde, paris : les éditions du cref.

3- Karl Otto Apel.(1994). l'éthique de la discussion, traduction du l'allemend par mark hunyadi, paris : les éditions du cref.

4- Karl Otto Appel.(1996). discussionet responsabilité01, l'éthique après kant, traduit de l'allemand par : Christian Bouchindhomme, Marianne Charière, et Rainer Rochlitz, paris : les éditions de cref.

5- Karl Otto Apel. (1996). sellected essay volume tow : Ethics and theory of rationality., edited and introduced bay Eduardo Mendieta, U.SA : library of congress calaloging.

6- Karl Otto Appel. (1987). sur le problème d'une fondation rationnelle de l'éthique à l'âge de la science: l'apriori de la communauté communicationnelle et les fondations de l'éthique, traduire de l'allmend par Raphael lellouche et Inga Mittman, presses universitaire de Lille.

7- Karl Otto Apel.(1998). ladiscussion et la responsabilité 02contrubution à une éthique de la résponsabilité, traduire par christianbouchindomme, et rainer rouchlitz, paris : édition du cref.

- المقالات:

1-كارل أوتو، آبل. (2009).إشكالية إتيقا كبرى وكونية للمسؤولية المشتركة. (محمد التركي، المحرر) *أوراق فلسفية*، العدد 05 (2009).

2- كارل أوتو، آبل. (2009).النزعة العلمية والهيرمينوطيقا ونقد الإديولوجيا:حدود نظرية العلم من وجهة النظر الأنثروبولوجية. *مجلة أوراق فلسفية، مصر*، العدد 23 .

3- مفرج، جمال.(2014) الأزمة البيئية بين الأديان السماوية وأخلاق المستقبل .*مجلة التشريع الإسلامي والأخلاق*، الدوحة، العدد26 .

4- بن مصطفى حشانة، منيرة .(2009). إتيقا الخطاب والمسؤولية بين التأسيس المتعالي والتطبيق العملي. *مجلة أوراق فلسفية، مصر*، العدد 23.

5- Alain Gerard Slama. (2011). La Responsabilité, fondapol, la fondation pour l'innovation politique.

6- Karl Otto Appel. (2001). the reponse of discours ethics ; the moral challenge of the human situation as such and especially today, edited by: Albert W.musschenga, Paul .M.vantongeren, Peeters, louvian-neuve.

7- Joseph MbunguMutu. (2010). éthique écologique et principe de laresponsabilité, ma théorie de hans jonas face au progrès technoscientifique et la crise écologique, éditions Peter long, Frankfurt.

-الأطروحات:

1- العايب زهية، الاخلاق الجديدة لمستقبل الانسانية والطبيعة عند هانز يوناس .Hans Jonas *مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة* .قسنطينة-الجزائر، (2009-2010).